العدد ٥٠/٢٠٠١

الأحد ١٦ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار النبي حجي والقديسة ثاوفانيس الملكة العجائبية

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضًا تَظهرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرض الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَن* لأنَّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضًا سلكتُم حينًا إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآن فأنتم أيضًا اطرحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبثَ والتجديفَ والكلامَ القبيح من أفواهِكم* ولا يكذب بعضُكم بعضًا بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ معَ أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديد الذي يتجدَّد للمعرفةِ على صورةِ خالقِه* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بَربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

القديس إغناطيوس الإنطاكي

في اليوم العشرين من كانون الأول، تقيم الكنيسة المقدَّسة تذكار القديس إغناطيوس الإنطاكي «الحامل الإله»، ثاني أسقف على إنطاكيا بعد إيفودوس، عشير الرسل وتلميذ يوحنا الحبيب، المعلّم المشتعل بحب الله والذي استشهد سنة ١٠٧م. في روما بعد أن مزّقت جسده الوحوش. وهو بحسب بعض التقاليد الولد الذي ضمّه يسوع إلى صدره على ما ورد في إنجيل متى (١٨:٤–٥).

في طريقه من إنطاكيا إلى مدرّجات الموت في روما، كانت للقديس محطات إلتقى خلالها وفودًا أتته من كنائس عدّة للتعزية والتبرك.ومن هذه المدن كتب رسائل هي من أثمن التراث الآبائي الواصل إلينا، لما فيها من حرارة إيمان بالرب يسوع وبكنيسته المجيدة، إلى جانب احتوائها معلومات قيّمة عن أحوال الكنيسة الأولى ومواقفها، وتعليم أرسى القواعد للعديد من عقائدنا الإيمانية.

+ لاهوته: الـ«تدبير» الإلهي هو الفكرة المحورية في لاهوت القديس اغناطيوس.فالله يريد تخليص البشرية والعالم من طغيان سيد هذا العالم، لذلك هيّأ العالم لاقتبال الخلاص بواسطة الأنبياء القدامى، الذين تحققت غاية انتظارهم في المسيح. فيسوع المسيح هو «معلّمنا الوحيد، وكيف يسعنا أن نحيا بدونه؟ الأنبياء القدامى،كتلاميذ له بالروح، إنتظروه كمعلّم، لذلك أقامهم عند مجيئه، فهو موضوع رجائهم»، على ما ورد في رسالة القديس إلى كنيسة مغنيسيا.

نظرة إغناطيوس إلى طبيعتي المسيح الإلهيّة والإنسانيّة واضحة لا لُبس فيها. فيسوع المسيح، على ما تبيّنه الرسائل إلى أفسس وإزمير وبوليكاربوس أسقفها، هو وحده طبيب الجسد والروح، «الإله المتجسد مولود وغير مولود، إله متجسّد وفي الموت حياة حقيقيّة. وُلد من العذراء ومن الله، قابلاً للآلام قبلاً وغير متألم الآن، يسوع المسيح ربنا». يسوع هو من نسل داود بحسب الجسد، وابن الله بحسب مشيئة الله وقدرته، وُلد بالجسد من العذراء واعتمد على يد يوحنا المعمدان إتمامًا لكل بر. ربنا المسيح هو أيضًا فوق كل زمان، إنه غير المنظور الذي صار لأجلنا منظورًا، المسيح الذي لا يُلمَس

ولا يطاله ألم صار لأجلنا إنسانًا متألّمًا ومحتملاً كل شيء.

يتصدى القديس إغناطيوس لأصحاب التعاليم الخاطئة الذين كانوا يرفضون طبيعة المسيح البشرية وآلامه بشكل خاص، قائلين إنَّ المسيح لم يتألم سوى ظاهريًا. فقد توجّه إلى كنيستَيْ ترالليان وإزمير حاثًا إياهما على نبذ هذه التعاليم، مسميًا إياها أعشابًا سامة تحمل ثمار الموت، التي إن ذاق منها أحد يسقط ميتًا على الفور. حجته في دحض هذه التعاليم كانت إقباله الشخصي على الإستشهاد الذي لو لم يكن تيمنًا بالسيد وحبًا به، لكان موتًا بلا معنى وكذبًا على الرب نفسه. هؤلاء الهراطقة كانوا يبتعدون عن الصلاة وعن الإشتراك في الإفخارستيا، مذكرين أن الإفخارستيا هي «جسد المسيح يسوع مخلصنا، هذا الجسد الذي تألم لأجل خطايانا وقد أقامه الآب بصلاحه». هؤلاء سيموتون في مجادلاتهم لأنهم يرفضون عطايا الله. لذا يحثّنا القديس اغناطيوس على التمسّك بالإنجيل الذي «أرانا الآلام ناجزة والقيامة محققة».

الكنيسة في تعبير إغناطيوس هي مذبح التضحية، إشارة إلى أن الإفخارستيا هي ذبيحة الكنيسة. يصف الإفخارستيا بأنها الدواء للخلود، والترياق الحافظ من الموت والمانح إيانا الحياة الأبدية في المسيح. نتيجة إيمانه هذا، يحذر اغناطيوس المؤمنين من الإشتراك أكثر من مرَّة في اليوم في الإفخارستيا، «لأنه لا يوجد سوى جسد واحد لربنا يسوع المسيح وكأس واحدة توحّدنا بدمه، ومذبح واحد، كما يوجد أسقف واحد مع الشيوخ والشمامسة رفقائي في الخدمة، ليكون كل ما تفعلونه تفعلونه بحسب الله». القديس اغناطيوس هو أول من سمى جماعة المؤمنين كنيسة جامعة، حاثًا إياهم على أن يكونوا حيث يكون الأسقف: «كما أنه حيث يكون المسيح تكون الكنيسة الجامعة».

في رسائل اغناطيوس تبيان واضح للكرامة المعطاة من الله للأسقف في وسط رعيته. فالأسقف يرأس بالمحبة بصفته يمثّل المسيح، الشيوخ (الكهنة) يشكّلون مجمع الرسل، والشمامسة مؤتَمَنون على خدمة رعية يسوع المسيح. الأسقفية ليست مجرد وظيفة كون الأسقف يمثّل المسيح في وسط الجماعة، لذلك يدعو القديس اغناطيوس المؤمنين إلى احترام سلطة الأسقف، خليفة الرسل، المنتدب من الله بنعمة الروح القدس، محترمين فيه «كمال قوة الله». فالطاعة للأسقف ليست طاعة لشخصه بل لله أبي يسوع المسيح: «فاحترامنا للأسقف هو احترام لله الذي أحبّنا... لأن عملنا ليس مع الجسد بل مع الله الذي يرى كل الأشياء المخفيّة». الأسقف هو، قبل كل شيء، السيّد الذي سيؤدي الجواب عن المؤمنين في اليوم الأخير. الحفاظ على الشركة معه يحمي من الإنحراف والهرطقة لأنه المؤتَمَن من الله على الإيمان، ومعلّمه. في رسالته إلى كنيسة أفسس يشدّد القديس اغناطيوس على ضرورة احترام الأسقف ومحبته وطاعته: «من المفيد أن تكونوا مع أسقفكم في وحدة لا تشوبها شائبة حتى تكونوا في وحدة دائمة مع الله». الأسقف هو الكاهن الأكبر المؤتَمَن على أسرار الله، وبدون

الإنجيل

(لوقا ١٤:١٦-٢٤)

قال الربُّ هذا المثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيمًا ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمَدْعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَسْتَعْفون. فقال لهُ الأولُ قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخَرَ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقر وأنا ماض لأُجَرِّبها فأسألك أنْ تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك*

فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدهِ أخرُجْ سريعًا إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيِّدُ قد قُضيَ ما أمرتَ بهِ ويبقى أيضًا محلٌ* فقال السيِّدُ للعبد اخرُج إلى الطُّرقِ والأسيِّجةِ واضطَرِرْهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّهُ لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئكِ الرجالِ المدعوّين* لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

«اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى ظهر المسيحُ الذي هو حياتنا، فحينئذٍ تُظهرون أنتم أيضًا معه في المجد»(كو٣:٢-٤)

هذه الحياة لم تعد حياتكم الحقيقية. حياتكم الجديدة الحقيقية غيرُ هذه. يسعى الرسول أن يرفعهم وكأنهم جالسون في السموات. هم مائتون ومع ذلك يريدهم ألاّ يطلبوا ما للأرض. إن كنتم في السموات أو كنتم مائتين، في كلتا الحالتين عليكم ألاّ تهتموا بالأرضيّات.حياتكم الحقيقية هي في الله مع المسيح في السموات.

عندما يظهر المسيح الذي هو حياتنا حينئذٍ سوف تطلبون المجدَ، سوف تطلبون الحياة والتمتع. هذه مساعٍ يحاول الرسول بواسطتها أن يبعدَهم عن المتع الأرضية ووسائل الراحة.

هكذا اعتاد الرسول أن يتكلّم عن شيء ويقفز إلى شيء آخر. يتكلّم مثلاً عن الذين يسرعون إلى المآدب المسائية فيقفز للحال إلى التكلّم عن الأسرار المقدّسة (١كور١١)، لأن التوبيخ له قوة كبيرة عندما يكون في وقت غير منتظر. يقول حياتكم مستترة وأنتم الأسقف أو من ينتدبه الأسقف لا يقام عماد ولا إفخارستيا، وما يوافق عليه الأسقف هو المقبول عند الله. اغناطيوس يدعو أيضًا إلى عدم إقامة زواج خارج بركة الكنيسة الممنوحة من الأسقف، ليكون الزواج بحسب الله لا بحسب الشهوات. هنا تجدر الإشارة إلى أن القديس إغناطيوس يشبّه وحدة الزوجين بالاتحاد الأبدي بين المسيح وعروسه الكنيسة، فيكون الزواج محكومًا بالمحبة الطاهرة الباذلة، محبة المسيح للكنيسة.

+ الإقتداء بالمسيح: لم يكن لأي من كتّاب المسيحية الأوائل بلاغة اغناطيوس في كرازته عن الإقتداء بالمسيح. فمن أراد لنفسه حياة المسيح وأبيه، عليه أن يتبنى مثالهما في المبادئ والفضائل. فـ«الجسديون لا يتمّمون الأفعال الروحية ولا الروحيون الجسدية، كما أن الإيمان لا يتمم أفعال الكفر ولا الكفر أفعال الإيمان». ولكن متى كان المؤمن مقيمًا في المسيح، فحتى ما يفعله بحسب الجسد يكون روحيًا، لأنه يفعله بحسب المسيح، لا بحسب الجسد.

يحثّنا القديس على الإقتداء بالمسيح كما اقتدى المسيح بأبيه. لكن هذا الإقتداء بالمسيح لا ينحصر بحفظ النواميس الأخلاقية. من أراد أن تكون حياته ملتصقة بتعاليم المسيح عليه أن يقتدي بآلام السيد وموته حبًّا له وطاعة بلا حدود. لهذا السبب نرى القديس يرجو محبّيه في كنيسة روما قائلاً «أتركوني أقتدي بآلام ربي. وإذا كان الله في قلب واحد منكم فليفهم ما أريده وليرقّ لحالي لأنه يعرف ما ينتابني».

الإقتداء بالمسيح أشعل اندفاعه إلى الإستشهاد، فكان له من حبيبه ما أراد، وهو اليوم في حضن الحبيب، شاهدًا أمينًا للحمل الذبيح قبل إنشاء العالم.

الفرح والسعادة

«وفي تلك الساعة تهلَّل يسوع بالروح وقال أحمَدُكَ أيها الآبُ ربُّ السماءِ والأرض لأنَّكَ أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماءِ وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآبُ لأن هكذا صارتِ المَسَرَّةُ أمامكَ» (لو ١٠:٢١).

قليلون جدًا يستطيعون القول انهم اختبروا، ولو لمرّة، التهليل بالروح. قليلون جدًا هم الذين مرّوا بخبرةٍ كهذه. والذين يؤكدون انهم مرّوا بهذه الحالة واختبروا التهليل بالروح بالفعل لا بالوهم هم محظوظون جدًا لأن الرب قد منَّ عليهم بهذه النعمة. إلاّ أن كثيرين ممّن يزعمون معرفتهم هذه الخبرة يخلطون بين خبرة السعادة وخبرة الفرح. السعادة ليست كالفرح. السعادة إبنة هذه الأرض، والفرح إشراق من السماء.

من يقرأ الكتاب المقدَّس، والعهد الجديد في شكل خاص، لا يجد وعدًا للناس بالسعادة قطعه يسوع أو أحد الرسل، كما لا نجده في كتابات الآباء الروحيّة ونصوص الصلوات التي نتلوها في الكنيسة أو في العبادة الفرديَّة. نستنتج من هذا أن السعي إلى السعادة والعمل على تحقيقها، والتبشير بأنها حق طبيعي للإنسان، هي من قبيل الأوهام التي، من فرط ما تكلّمنا عليها وتطلّعنا إليها أصبحت «حقيقة» من صلب تركيبتنا النفسيّة والعقليّة.لم يَعِدْ أحدٌ الإنسان بالسعادة؛ السعادة هي اختراع الإنسان ووعده لنفسه. السعادة قبض ريح، غيمة لا تستقر في مكان بل تظل أبدًا مسافرة نحو اللامكان.

السعادة، في عرف كثيرين منَّا، هي ما يتأتى من الشعور باللذة أو بالاكتفاء الناجم عن الطمأنينة. السعادة هي الشعور بأن ما يلزمني موجود عندي، بل موجود أكثر منه.هي الشعور بأن الانبساط باللذّة هو أقصى الوجود، بأن امتلاك الكثير والغرف من الكثير هو قمة الحياة: بيتي، سيارتي، مالي، نجاح أولادي، نجاحي، شكلي الخارجي، مظهري، تألّقي، وغيرها: كل هذه تتضافر لتعطيني شعورًا بالحلاوة.

ولكي لا نقع في الفهم المغلوط، كل هذه حلوة وجميلة ولذيذة، لكنها مُهتزّة وغير ثابتة.وهي لا تنفع كأساس ثابت لكي يُبنى عليها مشروع الحياة. قد يأتي قلقي من مكان آخر، من شعور بالوحدة، بالشيخوخة، بالمرض، بالفراق، باليأس. أين السعادة في كل هذا؟

هنا، يأتي الفرح ليقدّم نفسه بديلاً. الفرح، في المعنى المسيحي، هو الانتصار على الذات. هو الشعور الناجم، لا عن الامتلاء بما تغذّيني به اليوميات، بل الامتلاء بما يأتيني من كلمة تصلني مباشرة من الله ويصبح معها كل أمر سبيلاً ومدعاةً للفرح.كذلك من ينتصر على الشيطان يشعر بهذا بالفرح. المنتصر على الشيطان، في تفاصيل حياته، هو الحر الحقيقي الذي لا يكبّلهُ اعتبار. المرض يقيّد الإنسان وقد يكون سببًا للشك أو الكفر أو ما شابه. البعض يعتبره شرًّا لكن البعض الآخر يعتبره افتقادًا من الله ورحمة. مناسبة لكي أغوص في أعماق أعماقي لأكتشف في نفسي هشاشة وكبرياء مقنّعًا ما كنت أعلم بوجودهما. المرض يكشف لي ذاتي ويظهر ضعفي أمام عظمة الخالق وقد يؤدي بي إلى الاتضاع والوداعة ومحبة القريب وهي كلها منبع للفرح. الفرح هو التهليل بالروح. من ينتصر على أشياء كبيرة قد يصبح مغرورًا. الانتصار على الشيطان لا علاقة له بالأشياء الكبيرة. الكلمة الحلوة البسيطة، مراقبة النفس في تفاصيل صغيرة، الابتسام من أجل إسعاد قريب، الصبر على أمور تافهة، كلّها تتجمع لتعطيني شعورًا بأن وجود الرب في حياتي هو وجود يومي، كياني، مرافق لي.

بهذا المعنى يصبح الوجود جميلاً. هو جميل لأن الله خلقه. في سِفْر التكوين، نقرأ بعد كل عمل يقوم به الرب: «ورأى الله أن ذلك حسن» (١٢:١). القباحة هي ما نصنعه نحن بالوجود بانصياعنا إلى الشيطان في يومياتنا.

يقول الرب: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (متى١٨: ٣). الطفل يتعاطى بالقلب لا بالعقل، ولذا فالأطفال يمتلكون الفرح البريء البسيط لأنهم لا يعرفون الشيطان والشر. من أراد أن يمتلك الفرح الذي لا يذبل عليه أن يرجع ويصير كالطفل بالقلب والذهن.

أمسية ميلادية مرتلة

بمناسبة عيد ميلاد ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح تدعو جوقة مدرسة الموسيقى الكنسيَّة في الأبرشية المؤمنين للمشاركة في أمسيَّة ميلاديَّة مع تأملات روحية من وحيّ العيد، تُقام مساء الإثنين ٢٤ كانون الأول ٢٠٠١ الساعة السادسة في دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية.

تظهرون معه إذ ذاك. إذاً الآن لا تظهرون. أنظروا كيف ينقلهم إلى السماء! يحاول دائمًا أن يُظهر أنهم يملكون كلّ ما يملك المسيح. وفي كلّ رسائله الموضوع نفسه: يحاول أن يبيّن أنهم يشتركون مع المسيح في كلّ شيء.لذلك يدعوه الرأس والجسد، ويستخدم كلّ شيء من أجل هذا الغرض.

إن كنتم ستظهرون حينذاك، فلا تقلقوا الآن عندما لا ينالكم الإكرام وعندما لا تكون هذه الحياة حياتُكم(أي عندما تشعرون أنكم غرباء على هذه الأرض) لأن حياتكم «مستترة». ينبغي أن نعيش هذه الحياة وكأننا مائتون. «فحينئذٍ تُظهَرون أنتم أيضًا معه في المجد» أي ممجّدين كما أن اللؤلؤة مخفيّة في الصَدَفَة. فلا نحزن إن شتمونا أو إن عانينا من أي تضايق آخر لأن هذه الحياة ليست حياتنا الحقيقية. نحن غرباء وعابرون، لأنكم «متّم». من هو جاهل إلى حدّ انه يشتري عبيدًا لجسده المدفون أو بيوتًا أو لباسًا ناعمًا؟ لا أحد. فلا تطلبوا كلّ ذلك... لم يُدفن إنساننا الأول في وسط الأرض، بل في المياه لا بناموس الطبيعة بل بأمر الربّ.

القديس

يوحنا الذهبي الفم